جامعـة المنصــورة
كليــة التربية
–

المرأةُ في شِعرِ الرِّثاء بين التَّغيُّب والحضور

إعـداد
خديجة جازي الجهني

مجـــلة كلـــية التربية – جامعـــة المنصـــورة
العدد ١١٤ – إبريل ٢٠٢١
المرأةُ في شِعرِ الرِّثاء بين التَّغيُّب والحضور

خديجة جازي الجهني

Abstract

This research entitled (Women in Elegy between Absence and Presence) discusses the role and prominence of women in the art of mourning, and the phenomenon of the lack of elegies on behalf of women by male poets over the ages. The research showed how frequently women mourned the death of their brothers, followed by their sons, then their fathers. In contrast, they scarcely bemoaned the husband during the pre-Islamic era of ignorance!

The research was strictly limited to female poets in the pre-Islamic era of ignorance, but upon extrapolating the poets' elegies on behalf of women, the difference became clear that women's elegies for men were ample while men have greatly neglected composing elegies for women during the pre-Islamic era of ignorance.

Islam has warned about the phenomenon of emotional bias among Arabs in showing sadness and love for the son rather than the daughter. It dealt with this psychological and social issue through the stories mentioned in the Qur'an in an attempt to change and demonstrate the criteria for the right preference. This literary phenomenon is a witness and evidence of the supremacy of culture and society over literature, the mutual influence between them, and how this phenomenon has changed in the modern era.

المقدمة:

الحمدُ للـه الـذي أنـزَل القـرآنَ بلسـان عربـيّ مبـين، فتحـدَّى ببلاغتـه الأوَّلـين والآخِـرين، والصـلاةُ والسـلامُ علـى النبـيّ المبعوثِ رحمـةً للعالَمين، الذي آتاه ربُّـه جوامـعَ الكَلِم فكانـتْ فصـاحته نبراسَ المتقدِّمين والمتأخِّرين، وعلـى آلـه وصـحْبه الغُرِّ الميامين، وعلـى مَنْ تبِعهم بإحسان إلـى يوم الدِّين؛ أما بعدُ:

بداية أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذة الدكتورة : نجاح بنت أحمد الظهار لرعايتها بواكير فكرة هذا البحث ، وكما أشكر الأستاذ الدكتور: أحمد صبرة على تكرمه بقراءة هذا البحث وتقديم النصح والتوجيه .

الرثاءُ من أهمِّ الظواهر الإنسانية؛ لأنه يلتصقُ بالنوازع البشرية والاجتماعية والذاتية، وهو ذو نزعةٍ سامية في قِيَمِه ومعطَياتِه، وفي مفهومِه واتجاهاته، تَجاوزتِ الحدودَ من الفردية إلى الإنسانية.

كَثيرةٌ هـي أشـعارُ الرِّثـاءِ عبْـرَ العصـور؛ فهـي متعـدِّدة العناصـر، كثيـرة القـائلين، متفرِّعـة الأسباب، ومن ثَمَّ تفاوتتْ فصاحتُها، واختلفتْ مكانتُها منذ العصر الجاهلي حتى عصرِنا هذا. ولقد

تَفاضلتْ في العصر الجاهليّ بعضُ القصائدِ عن بعض، وبعض الأبيات عن الأُخرى، حتى قيل: إنَّ ذلك البيتَ أعظمُ بيْتٍ قيل في الغزل، أوالرثاء، أو المديح، وكذلك فُضِّلَ بعضُ الشعراء على بعض، فقيل عن الخنساء: أشعرُ الجنِّ والإنس[1]، وإنْ كانت المفاضلةُ دَيدنَ مجالسِ الأدباء في كل عصرٍ.

هذا البحث ليس من قَبيل التعصُّب للمرأة، أو رفْع لواء تحرير شِعر المرأة من الظُّلم، بل هي لفتةٌ لانتباه الباحثين لجانب أُغفل كثيرًا، وحُقَّ له أن يُولى اهتمامًا أكبر، ليَصدُرَ فيه حُكمٌ عادل .

هذا ما دفعَني إلى التأمل، ثم المفاضلة بين أقسام الغرَض الواحد، وبين جِنس القائلين سواء من الرِّجال أو النِّساء.

ينقسم الرثاءُ إلى ثلاثةِ أنواع، هي: النَّدب، والتأبين، والعزاء، تُوجد هذه الألوانُ الثلاثة في نوعَي الرثاء سواء أكان رثاءً خاصًا اتَّجه إلى بُكاء النفْس، أو القريب، أو القوم، أم رثاءً عامًّا فرضَتْه المجاملة، وطبيعة الحياة الاجتماعية، ومن الطبيعي أن يكونَ هناك فرقٌ واضح بين قصائد رثاء الخَاصّ ورثاء العامّ، وبيْن حجم العاطفة الشِّعرية المتجسِّدة في كِلا النوعين، وإنْ كان أكثرُ شِعر الرثاء الجاهليّ ممتزجًا بالفخر بمآثِر المرثيّ.

ومعظم ما وصَلَنا من أعمال شِعرية أَطلق الشعراءُ فيها خيالهم الفطري، فظهرتْ تلك الصُّوَر الشِّعرية الرائعة التي اشتملتْ على نظرات تأملية، ارتبطتْ بتصوُّرهم للموت والفناء، وصُوَر شِعرية لمشاهد البيئة مِن حولهم، تُجسِّد الصراعَ من أجل البقاء، ولم يكتفوا بكلِّ هذا، بل جعَلوا الطبيعةَ والكونَ يشاركهم أحزانَهم وآلامَهم؛ فجاءت نظرتُهم تكاملية، كان الرثاءُ أداةً صادقةً، ومرآةً ناصعة، انعكستْ عليها الحياةُ الإنسانية، بكلِّ تَجارِبها وآلامها، ومواقفها المختلفة[2].

لقد كَثُرتْ كُتُب الشِّعر، والرثاء، وقَلَّ ذِكرُ شِعرهنَّ رغمَ ذلك، حتى أصبح شِعرُ أكثرِهنَّ مغمورًا لا يُعرَفُ قائلتُه، فهدف هذا البحث الاطلاع على مآثر الشاعرات العربيات، وقِصصهنَّ ومشاركاتهن الأدبية وخاصَّة الجاهلي منها؛لأنها مهدُ أدبِ المرأة في العصر الحديث، ولأهميةِ تلك الحِقبة الأدبية الضاربة في القِدم، الغارقة بيْن صفحات الكتُب المتناثِرة، والمؤلَّفات نادرة الذِّكر؛ فسيكون تناوُلُ هذا الجانب والربطُ بين الماضي والحاضر، استكمالًا ومؤازرةً متواضعةً للدِّراسات السابقة في الأدب العربي عامَّةً، وبلاغة النِّساء خاصَّةً.

مشكلةُ البحث:

---

(١) ينظر الشعر والشعراء، ابن قتيبة الدينوري، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٣هـ ج ١ص: ٣٣٢

(٢) يُنظر: الرثاء، شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٤، ص: ٥ – ٦.

قبل اختياري لقِسمِ البلاغة في الدراسات العليا ،استوقفني إسقاطُ الشاعرات حين تُذكَر الصفوة، ونَدْرةُ الحديث عن بلاغة المرأة، ثم اتهامها بقِلَّة البلاغة والشاعرية في عصرنا الحديث، كانت الخنساءُ مِن أبرز الشاعرات ظهورًا، وأكثرِهن حضورًا حين تُذْكَر صَفوة شعراء الجاهلية، ومع ذلك قَلَّ ورودُ ذكرِ الشاعرات في الأدب منذ العصر الجاهلي!

إنْ كانت الخنساءُ استطاعتْ خوضَ السِّباقِ مع الشعراء حتى رَسَخَ شعرها وذاع صِيتُها؛ فإن هناك مَن أبدعن وغاب إبداعهنَّ في بطون الكتب.

جاء النقد ليوضح فكرة الفحولة ، وعلاقة ذيوع القصائد بها ، وكيف استفحلت الخنساء حتى لحقت بركب الشعراء ، وفق معايير ذلك العصر لاستحاق "فحولة الشعر" ، وهي معايير تفاوتت بين ما وضعها الأصمعي ، ابن سلام .

كثر الحديث عنها في كتب النقد والأدب والبلاغة التي تناولت أدب العصر الجاهلي ، فدور هذا البحث توضيح كيف أثرت هذه المعايير في أدلج الفكر،ثم ظلت تؤثر بالمتجمع والأدب والثقافة فترة طويلة من الزمن .

وخلال تصفُّح قصائدِ الرثاء عند الشاعرات وجدتُ أنهنَّ أوجَزْنَ حُزنهنَّ بقصائدَ أو مقطوعات لم تطُل إلا فيما ندر.

لكن كثُرَ شعرُ الخنساء في أخيها، وإن لم يُذكر عنها رثاءٌ في أبنائها، عَلَّل بعضُ النقاد ذلك بأن رِثاءها كان عبارةً عن نَدْبٍ وبُكائيَّاتٍ، يخالفُ التسليمَ والإيمان الذي سكَنَها بعد إسلامها، ووقف كثيرون أمام استمرارِها في رثاءٍ صخرٍ وبكائه، وقد حاول ابنُ قُتَيْبةَ توضيحَ ذلك فقال: "قالت الخنساء: كنت أبكي لصخرٍ مِن القتل، فأنا أبكي له اليومَ من النارِ"(١).

يعود السؤال، هل ما وقع من تغَّيبٌ للمرأة كمرثية في الشعر بالعصر الجاهلي، وقع تحت تأثير فكرة الديانات المختلفة التي انتشرت في العصر الجاهلي ونظرتها للمرأة النظرة الدونية؟! وهل لعبت نظرة المسيحية واليهودية المنتشرة قبل الإسلام دوراً في ذلك؟ أم هي فكرة ثقافية أيدلوجية راسخة في تلك البيئة ؟ فهل ما يلقى على عاتق التفكير الإسلامي بعد عصر النبوة ناتج عن المثاقفة بين الثقافة الإسلامية ،و الفلسفة اليونانية وما جاء به أفلاطون، و أرسطو من نظريات حول مكانة المرأة؟ لأن نصوص القرآن الكريم تثبت مكانت المرأة ودورها في حياة الرجل ودورها كملكة ، وأم، وأخت، وزوجة مؤازَرة ، فحملت سور من القرآن أسماء نساء، وجاءت سورة كامله تخصهن، في أسلوب معالجة لذلك

(١) عيون الأخبار، ج٦، ص: ٢٩٨.

التهميش المؤدلج بالفكر الجاهلي تجاه المرأة فترة من الزمن، ظهر ذلك التغير بارزاً في شعر المرثيات في العصر الأندلسي، والعباسي.

لذلك جاء عنوان البحث : "المرأة في شعر الرثاء بين التغيب والحضور " لتوضيح كيف حضرت المرأة كراثية ،وغابت كمرثية في شعر الرثاء في العصر الجاهلي .

تتجلَّى مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- ما الأسبابُ التي حَجبتْ أشعارَ النِّساء عن الدراسة؟
- أيُّهما كان أكثرَ ورودًا في مراثي النساء في العصر الجاهلي، رثاءُ الآباء أم رثاءُ الأبناء، أم رثاء الأزواج؟ وما أسباب ذلك؟

أهدافُ الدراسة وأهميتُها:

- كشف حضور المرأة راثية ، وغابها مرثية في شعر الشعراء .
- إبرازُ أسماء الشاعرات المغمورات اللآتي بَرزنَّ في شعر الرثاء ، اللواتي غاب ذِكرُهنَّ كثيرًا عن ساحَتَيِ الأدب والبلاغة.
- إظهارُ أغراض الرثاء التي برزت، وتميزت بها المرأةُ في الجاهلية.
- دورُ الثقافة، والمجتمع في تغيُّب رثاء الشعراء للمرأة.

حدودُ البحث:

ينحصرُ البحثُ في دراسة قصائدِ رثاءِ ذوي القربى مِن العصر الجاهلي ، وإحصائها.

الدراسات السابقة:

١. رثاءُ الزوجاتِ في العصر الأُموي والعباسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٨هـ.
٢. الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام، حسين جمعة، عام ١٤٠٢هـ.
٣. الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، صلوح مصلح السريحي، رسالة دكتوراه، إشراف: د. أحمد سيد محمد، كلية التربية بجدة، ١٤١٩هـ.
٤. فن الرِّثاء عند المرأة في الشعر الأُموي، نعيمة محمد عبد اللطيف بنون، ١٤٠٩هـ.
٥. مراثي النساء في شعر عصرَيْ ما قبل الإسلام وصدر الإسلام، قاسم محمد عبد، رسالة ماجستير، إشراف: إيمان كمال المهداوي، في الجامعة الإسلامية – كلية الآداب – قسم اللغة العربية ٢٠٠٩م.

ظاهرة غِياب رِثاء المرأة:

لقد ظلَّ الشِعر الذي قالته المرأة في مُعظمه مجالًا بكرًا يحتاج إلى دراسة أدبية، وبلاغية

طويلة تقوم عليه، وتُحلِّل ظواهرَه، وتكشِف عن سِماته الفنية.

بَدتِ المرأة في معظم الأحوال موضوعًا يَشغَل الرَّجُل، فيكون مصدرَ إلْهام شِعري له، أو عنصرًا حماسيًّا في أحد ميادين الحياة، وإنْ كانت تتوارى دومًا في منطقة الظلِّ؛ لذلك بقيتْ منطقة الظلِّ حافلة بزَخَم هائل مِن الشاعرات المغمورات.

والناظر إلى قصائد الرِّثاء في الشِّعر العربي القديم يَلحَظُ قِلَّةَ رِثاء الرَّجلِ للمَرأةِ، فمَن استطاع الخروج عن هذه الظاهرة تميَّز بمَزيَّةٍ تستدعي التأمل[١]، حتى إن بعض قصائد الرثاء بالشعر الأندلسي لم تتضح فيها قرابة المرأة المرثية،[٢] لكن الشِّعر الجاهلي يكادُ يخلو مِن رثاء الشُّعراءِ للمرأة ، وحتى رثاء المرأةِ المرأةَ!.

والمتأمِّل في الشِّعر العربي يجِد أنَّ هذين الغرضَيْن (المدح، والرثاء) قد تميَّز بهما الرجُل، ويبدو هذا أمرًا طبيعيًّا في مجتمع يرى الرجولة قيمة، أو معيارًا تُرد له كثير مِن القيم الاجتماعية[٣].

وإنْ كان الأدباءُ يستثنون العصر الأندلسي، والعصر الحديث من هذه الظاهِرة[٤]، وإنْ عَلَّل بعضهم بأنَّ قِلَّة الرِّثاء تعود لاقترانه بالمدح، وأنَّ المدحَ لبعض الخِصالِ – أمثال الشَّجاعة والكَرم – التي اتَّصفَ بها الرجُلُ[٥].

فهل هذا يعني أنَّ تلك الصفاتِ مقصورةٌ على الرجُل؟! فمَن رَبَّى ذلك الرجُل على تلك الصِّفات سوى المرأة؟!

وإنْ كان يعود لاقترانه بالمديح، فكيف حالهم بالغزل؟! فقد ذُكرت المرأة جسدًا حيًّا، وتُتسى حين تُوارى الثرى؟! فقد يُقال: إنَّ ذلك كان في العصر الجاهلي بسبب البيئة، والعادات، والتقاليد، فلماذا استمرَّتْ قِلَّةُ رثاء الشُّعراءِ للنِّساء حتى عصرنا هذا؟!

ولقد أشار الدكتور محمد إبراهيم نصْر في كتابه "المراثي"، إلى أنَّ قِلَّةَ رثاء الزوجات في الشِّعر العربي ظاهرةٌ جديرةٌ بالاهتمام[٦]. ولنَّا أن نتساءَل عن سرِّ هذه الظاهرة، وعن تَكتُّم الرجُل في إبداء عاطفة الحزن على المرأة، وخاصَّة المقرَّباتِ منه؟! هل هو إحساسه بعلوِّ مكانته على المرأة، وأنَّ رثاءه لها يحطُّ من تلك المكانة، أو أنَّ التقاليد تحكُم، وتتحكَّم في عواطف الرجل، أم أنها سلطة

---

(١) انظر ديوان المتنبي، شعر الرثاء في رثاء جدته.

٢ انظر رسالة ماجستير بعنوان " رثاء المرأة في الشعر الأندلسي " إعداد : نزار جبريل السعودي، إشراف الدكتور صلاح جرار، الجامعة الأردنية ، عام ٢٠٠٦م

(٣) رثاء الزوجات في العصر الأموي والعباسي، ص: ٨، ٩.

(٤) تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ط٥، ١٩٧٨م، ج١، ص: ١١٩.

(٥) رثاء الزوجات في العصرين الأموي والعباسي، ص: ١٦.

(٦) من عيون الشعر "المراثي"، محمد إبراهيم نصر، الرياض: دار الرشيد، د. ت، ص: ٢٣١.

الثقافة المجتمعية تفرض هيمنتها على العاطفة؟

يؤكِّد هذا الكلامَ قولُ أبي الهَيْذَامِ عامر بن الضَّحَّاك الكِلَابيّ:

وَإِنَّــا أُنــاسٌ مَــا تَفــيضُ دُموعُنــا علــى هَالــكٍ مِنَّــا وَإِن قَصــم الظَّهــرا[1]

ويُبرِّر بعضُهم ذلك بطبيعة العَرَب؛ فإنَّما تَنْسُب نَفسها إلى القساوة وَتعيِّر مَن يبكي، وهذا ما يؤكِّده قولُ المُهَلْهِل:

يُبكَــى علينــا وَلَا نبكــي علــى أحــدٍ لَــنَحنُ أغْلــظ أكبــادًا مِــنَ الإبِــلِ[2]

فكيف يَبكُون على الحبيبة وغِيابها، ولا يبكُون على موت أمٍّ، أو ابنة، أو زوجة؟!هكذا تُخرج هذه الظاهره من سياقها الأيدلوجي إلى سياق نفسي .

وقد أكَّد صُعوبةَ الرِّثاء على نفْس الرجُل العربي ما أورده ابنُ رَشيق، معلقًا على هذه الظاهرة: (ومِن أشدِّ الرثاء صعوبةً على الشاعر أن يرثيَ طفلًا أوِ امرأةً؛ لِضِيق الكلام عليه فيهما، وقِلَّة الصفات)![3].

ويؤكد بروكلمان ذلك بقوله: (إن إظهار الحزن لم يكن يُناسب رجال القبيلة، كما كان لائقًا بنسائها، وخاصةً الأخوات، ومِن ثَمَّ بقي تعهُّد الرثاء الفني مِن مقاصِدِهنَّ حتى عصر التسجيل التاريخي)[4].

أم أنَّه سيُغفر هذا التقصيرُ؛ حفاظًا على كِبرياء الرجُلِ التي عبَّر عنها جَريرٌ بقوله:

لــــولا الحيـــاءُ لَعـــادَني اســـتِعبارُ ولَـــزُرتُ قَبـــرَك والحَبيـــبُ يُـــزارُ[5]

هذا ما كان مِن توضيحٍ على لسان بعض الشعراء والنقاد، يَنْم عن إدراكهم هذه الظاهرة منذ القدم .

وهنا يُمكن أن يُقال: إنْ كان حقًّا مِنَ العيب إظهار محاسنِ المرأة حيَّةً، فلماذا يُعابُ إظهار محاسِنِها ومآثِرِها ميتةً؟! فإن كان ذلك في عصرٍ مضى، فإنه يجب أن يُقِرَّ التاريخ أن تلك العادات ساعدت في دَفَنَ معظم مآثر النساء، و كانت سببًا فيما اتُّهمن به من قِلَّة الفصاحة، والبلاغة، والشاعرية.

---

(١) الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، بيروت: عالم الكتب، د. ت، د. ط، ج١، ص: ٢٣٩.

(٢) شرح ديوان الحماسة للتبريزي، ج٢، ص: ٥٢.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج٢، ص: ١٥٤.

(٤) تاريخ الأدب العربي، ج ١، ص: ٤٨.

(٥) ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفي، دار بيروت ، ١٤٠٦هـ، ص: ١٥٤.

والحديث في هذا الموضوع ليس إلا محاولةً لِفَهم أسباب هذه الظاهرة، وكيف تغيرتْ عَبْرَ العُصور؟ وما أسباب تغيُّرِها؟ وكيف كان الأدب شاهدًا على سَطوةِ و سُلطةِ الثقافة السائِدة، والتغيُّرات التي طرأتْ على المجتمع، ودفعَتْ بالأدب نحوَ التغيُّر، حتى جاء في هذا العصر بصورة – نقدًا – يُدافع عن لُغة المرأة وأدبها وكِيانها ووجودها! لكن هل هو التوجّه الصحيح لحل للقضية ؟

لعلَّ مِثل هذه الممارسات السُّلطوية مِنَ الثقافة على الأدب كوَّنت ردَّةَ فِعلٍ دفَع كثيرينَ إلى الوقوف مع أدب المرأة، ونقْدها، والمطالبين بأدبٍ ونقْدٍ نِسويٍّ مُنفصلٍ عنِ سِياق الأدب والنقد العام، وإن لم يكن مجالُ البحثِ الحديثَ عن أثرِ هذه الظاهرة في الأدب والنقد، فإنه يجدُر التنبُّه إلى أنَّ مِنَ المُحال ألَّا يكونَ لِمِثلِ هذه الظاهرة أصداءٌ في الأدب، وإن كانت تلك الأصداءُ في تبرير تلك الظاهرة على استحياء مِن بعض النقاد والشعراء، ألَا تحتاج لتأمل ودراسة وفَهم لأسباب التغيُّر وأبعاده، ودواعيه؟!

بُروز الشاعرات بغرض الرثاء:

الرثاء مِنَ الموضوعات البارزة في الشعر العربي، وهو ضاربٌ بالقِدَم منذ وُجِد الإنسان أمام مصير الموت والفناء حين يصبح القريب العزيز أثرًا بعد عَيْنٍ.

وقد برزت المرأة في قولها شعرَ الرثاء؛ لِمَا جسَّدته مِن عُمق عاطفة، ودور في الندب والتحريض، وإثارة القبائل، خاصةً إذا كان المرثيُّ مقتولًا، فقد ترثي الأُمُّ وَلَدَها، وتندُب الأُختُ أخاها، وتَبكي البِنتُ أباها، وأيام العرب مادة عظيمة للرِّثاء، شَغَلتْ نساءً به، وملأت قلوبَهن بأحداثِها الجِسامِ، ومآسيها المُروِّعة(١).

ورثاء المرأة لابنها، وأخيها، وأبيها، وزوجها، (دليلٌ على سمو خُلُقه، وعُلُوِّ مكانته عند العرب في الجاهلية؛ لأنَّها في نظرهم جديرة برثاء الموتى والإشادة بفضلهم)(٢).

وهذا ما يجعل الباحثَ يحاول الكشفَ عن أسرار تلك الكلمات التي أثارت حروبًا، وأوغَرَتْ صُدورًا، وخُلِّدت عَبْرَ التاريخ، وأيُّ فصاحة وبلاغة، حتى حُفِرتْ تلك الكلمات إلى عصرِنا الحاضر، مع الفارق الزمني، واختلاف البيئة، وتَغيُّر العادات، وأيُّ بلاغة جعلت المرأة المحركَ لتلك الحروب التي غيرت في تاريخ ذلك العصر، وبعد ذلك كله تُتَّهم بقِلَّة شاعريَّتها وبلاغتها أمام الرجل! ولا نجد مَن يرثيها ويَتكُرُها!!

اتفقت قصائدُ على الثأر، فكان الرَّجلُ المنفذَ لتحريض المرأة، وبحكم كون المرأة أكثرَ التصاقًا بالبيئة، والتزامًا بعاداتها، كَثُرَ رثاؤها؛ بغرض التحريض بالجاهلية، وبحكم ضَعفها قامت بتحريض الرَّجل، بدلًا مِن أخذ

(١) الأدب الجاهلي، الدكتور يحيى الجبوري، ص: ٢٤٥.

(٢) المرأة في الشعر الجاهلي، الدكتور أحمد الحوفي، ص: ٦٣٧.

الثأر بنفسها؛ لتُوكِّد بهذا حُبَّها للمُتوَفَّى[١].

وبعد ذلك تغيَّرت الصورة، فغلب على شعر الرثاء المزجُ بين الرثاء والفخر، حتى أصبح في العصر الحاضر رثاءً محضًا، تخلَّصَ من المُبالغة في مديح المتوَفَّى، أو التحريضِ على الأخذ بالثأر، أو ذكر عادات النائحات على الميت، فأصبح شعرًا يُجسِّد العاطفةَ المحترقة مِنَ الفِراق، وخاصةً حين يكون رثاءَ خاصَّةِ المرأة، مِن أبٍ وأخٍ وابنٍ وزوجٍ، وهو الغرض الذي برزت فيه المرأة، فلم يكن رثاء المجاملات مَحَطَّ اهتِمام المرأة؛ فهي بطبيعتها لا تبكي غير مَن تَقَطَّر قلبُها لفِراقِه وثارت قريحتُها مِنَ الوَجدِ له.

يقول ابنُ رَشيق: (والنساء أشجى الناس قلوبًا عند المصيبة، وأشدُّهم جَزَعًا على هالكٍ، لِمَا ركَّب الله – عز وجل – في طبيعتهنَّ مِنَ الخَوَرِ، وضَعفِ العزيمة، وعلى شدة الجَزَعِ)[٢].

رثاء الإخوة والأبناء:

وفي زَخَم قصائد رِثاء النِّساء للرِّجال عامةً، باختلاف صِلاتِ قرابتهم بهنَّ، نُصدَم بشُحّ عطاء الطرَف الآخَر للمرأة.

كلُّ ما وَقَفَتْ عليه الباحثة في رثاء الشعراء لأخواتهم اثنا عَشرَ بيتًا، ثلاثة منها لأبي عبد الرحمن العُتْبي، أوردَها المبرِّدُ في التعازي والمراثي، وتسعة أبيات لأبي فِراس الحَمْدانيّ في ديوانه.

أمَّا عن رِثاء الإخوة فيندُر أنْ نجِد ندبًا حارًّا لأخٍ على أُخته، وربما كان أبو فِراس الحَمْداني خير مَن نَدَبَ أُختًا له[٣].

يؤكد ذلك بروكلمان بقوله: "إنَّ إظهار الحزنِ لم يكنْ يناسبُ رجالَ القبيلةِ كما كانَ لائقًا بنسائِها، وخاصةً الأَخواتِ "[٤]، وبرغم مِن ذلك غاب رِثاءُ المرأة لأختها أو أمِّها.

بعكس رثاء الرجل لأخيه، فنجد أن مَن تقدَّم في طبقات المراثي وبلغ القمة عند ابنِ سَلَّامٍ الجُمَحيّ (مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرَةَ)[٥] في رثائه لأخيه مَالِك، والناظر لأصحاب المراثي في كتاب الطبقات يجد أن جميعَهم كان رثاؤهم في الأخ!!.

بالرغم من تناسُب حِدَّة الانفعال في رِثاء الإخوة، وإن كانتِ المرأة أشدَّ انفعالًا وثورةً، جاء رثاءُ الأبناء عندها أعمقَ حُزنًا، وأكثرَ هدوءًا، تَسُودُه عاطفة الحُزن، غير أن العاطفةَ الثائرة تبدو أكثرَ في رثاء الإخوة، وجاءت حِدَّتُها متساويةً عند الرَّجل والمرأة، وإن ظهرت حِدَّتها عند الرجل أكثر، مِن خلال تهديده حين يكون

(١) الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، ص: ٧٨.

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ، ج٢، ص: ١٥٣.

(٣) الرثاء، شوقي ضيف، ص: ٢٥.

(٤) تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، نقله للعربية: عبد الحليم النجار، القاهرة: دار المعارف، ط٥، ج١، ص٤٨.

(٥) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد اليربوعي التميمي، الأعلام، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥، ص: ٢٧٤.

المرثيُّ مقتولًا[١].

أمَّا البناتُ فلم تجد الباحثةُ رثاءً لهنَّ – فيما اطَّلَعَتْ عليه – إلَّا عند شاعرَيْن، هما حسَّانُ بنُ ثابت، الذي رثَى ابنتَه بثلاثةِ أبيات[٢]، والصَّنَوْبَريُّ في ديوانه في القرن الرابع، الذي رثَى ابنتَه بعدد مِن القصائد والمقطوعات[٣]، ومن العجب – رغْم كثرة رثاء الشاعرات لأبنائهنَّ – أنَّ الأدبَ لم يُبرزْ قصيدةً واحدة لرثاء شاعرةٍ لابنتَها في العصر الجاهلي !

في حين أثبت التاريخُ شعورَ الرجل الجاهلي بالعار عندما تُولد له ابنة، فهل عَدَمُ وجود قصائد في رثاء المرأةِ ابنتَها دليلٌ على أنَّ الكراهيةَ كانت مشتركةً بين النساء والرجال للابنة !! أو هي تبعيَّة المرأة للرَّجل، وخضوعها لكراهيته، واستسلام لضَعفها أمامه، ما جعلها تَئِدُ حُزنها على ابنتها أيضًا؟!

في المقابل نجد الأصواتَ بُحَّتْ مع موتِ الأبناءِ وفِلْذاتِ الأكبادِ، وأنَّ حرارةَ الموتِ تَأكْلُ أفئدةَ الأمهاتِ وهنَّ يُصَوِّرنَ مَن فَقَدْنَ بالجُزءِ من أجسادِهن، بَتَرتْه تلك المصيبةُ.

كثُرتِ الإشارة إلى قصيدة أبي ذُؤَيبٍ الهُذَليّ، الشاعِر المُخضرَم[٤]، في رثاء أبنائه، وهي مجاراة لقصيدة سُعْدَى بنتِ الشَّمَرْدَلِ الجُهَنِيَّة، الشاعرة الجاهلية[٥]، قالتها في أخيها لِأُمِّها (أسْعَد بن مجدَعةَ الهُذَليّ)[٦].

ترَى الباحثة أنَّ من أسبابِ انتقالِ هذه الأبيات ومحاكاة شاعِر هُذَلي لها: أنَّ أخاها كان هُذليًّا أيضًا؛ فلم يكُن التشابُه فقط في المطلع، بل في أبيات كثيرةٍ من القصيدة؛ ففي مطلع قصيدته:

أَمِـــنَ المَنُـــونِ ورَيْبِهـــا تَتَوَجَّـــعُ والــدَّهْرُ لــيسَ بِمُعْتِــبٍ مَــنْ يَجْــزَعُ[٧]

أمَّا مطلع قصيدة سُعْدى فهو:

---

(١) الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، ص: ٣٣٠.

(٢) تحيق: وليد عرفات، ص: ٤٤٢.

(٣) تحقيق إحسان عباس، ص: ١٥، ٩٩، ١٤٢، ٢٦٣، ٣١١، ٣٤٣، ٢٦٥.

(٤) أبُو ذُؤَيْب الهذليُّ خويلد بن خَالِد بن محرَّثِ الهذليُّ، وهو شاعر فحل من الشعراء المخضرمين، أبُو ذُؤَيْب، قَالَ صَاحب الأغاني: كَانَ من الشُّعَرَاء المخضرمين، وَإِنه حَسُنَ إِسْلَامه لَمَ ِا أسلم، قَالَ قصيدته العينيَ ِة السابقة، في بَنِينَ لَهُ خَمْسَة أصيبوا في عامٍ واحدٍ بالطاعون، الوافي بالوفيات، ج ١٣، ص: ٢٧٤.

(٥) هي سُعدى بنتُ الشَّمَرْدَلِ الجُهنِيَّة، وقيل: سَلْمَى بِنْتُ مَخْذَعَةَ الْجُهَنِيَّةُ، اختلفت الروايات في اسمها، فبعضهم قال: سلمى، وأكثر الروايات على أنها «سُعدى»، لسان العرب، "الحاء المهملة"، ج ٤، ص: ١٩٩.

(٦) الأعلام، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٣، ص: ٨٩، وبهذا تُظهر الروايات الاختلاف بين "مخدعة" و"مجدعة".

(٧) المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٦، ص: ٤١٩، ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، ١٩٦٥: ج١، ص: ٣، وجمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق وضبط: علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: ج٢، ص: ٦٨٣.

أَمِـــنَ الْحَـــوَادِثِ وَالْمَنُـــونِ أُرَوَّعُ وَأَبِيـــتُ لَيْلِـــي كُلَّـــهُ لا أَهْجَـــعُ[1]

وتشابه قولها:

كَـمْ مِـنْ جَمِيـعِ الشَّـمْلِ مُلْتَـئِمِ الْهَـوَى كَـــانُوا كَـــذَلِكَ قَـــبْلَهمْ فَتَصَـــدَّعُوا

مع قوله:

كَـمْ مِـنْ جَمِيـعِ الشَّـمْلِ مُلْتَـئِمِ الْهَـوَى كـــانوا بعَـــيْشٍ قَبْلَنـــا فَتَصـــدَّعُوا

وتشابه عَجُزُ البيت في قوله:

وكِلاهُمـــا قـــد عـــاشَ عِيشَـــةَ ماجِـــدٍ وجَنَـــى العَـــلاءَ لَـــوَ انَّ شَـــيئًا يَنفَـــعُ

مع عَجُزِ البيت في قولها:

وَلَقَـدْ بَـدَا لِـي قَبْـلُ فِيمَـا قَـدْ مَضَـى وَعَلِمْـــتُ ذَاكَ لَـــوَ انَّ عِلْمًـــا يَنْفَـــعُ

وقد ذُكرت قصيدةُ أبي ذُؤَيبٍ في المفضَّليات، وهذه المجاراة تدلُّ على عُلُوِّ بلاغة المرأة وسُمُوِّ عاطفتها، حتى إنَّ مَن جاؤوا بَعدَها يحاولون مجاراة أبياتِها، وبعد ذلك اشتُهِرتْ قصيدة أبي ذُؤَيبٍ وأُغفِلَ اسم سُعدى!!.

وإنْ كانتْ مراثي الإخوة – كما يقول الدكتور شوقي ضيف– (كلها مَراثٍ لا تبلُغ مِن حرارة التفجُّع ما تبلغه مراثي الأبناء، وإذا كان هناك قصورٌ فهو مِن قِبَلِ الرِّجال الذين تعوَّدوا ألَّا يَرْثُوا بناتِهم وأمهاتِهم وألَّا يبكوا عليهنَّ! أما المرأة فكانت أكثرَ وفاءً للرَّجل، بَكَتْه أخًا وأبًا وابنًا، وبَكَتْه زَوجًا)[2]، ومِن العجيب ألَّا نجدَ قصائدَ بارزة في رثاء الأبناء لأمهاتهم، فأيُّ عاطفة كان يخجل منها الرجل حين يرثي أمَّه؟!

رثاء الأزواج:

فلقد حَصَر بعضُ الكُتاب الشعراءَ الذين رَثَوا زوجاتِهم، فكانا جريرًا وابنَ الزيات، وكأنهما الشاعران الوحيدان اللذان رَثَيَا زوجتَيْهما في الشعر العربي[3].

ويُعد ديوانُ ابن جُبَير الشاعر الأندلسي[4] أوَّلَ ديوان يَرثي به شاعرٌ زوجتَه.

وقد أورد الدكتور عُمر الأسعد أسماءَ ثمانٍ وعشرين امرأةً رَثَيْنَ أزواجَهنَّ في ديوان رثاء

---

(١) الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، بيروت، ط٥، ص: ١٠١.

(٢) الرثاء، شوقي ضيف، ص: ٢٥.

(٣) رثاء الزوجات في العصرين الأموي والعباسي، عبد الرحمن إسماعيل، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٨هـ، ص: ٣.

(٤) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين: رحالة أديب، ديوانه "نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح " مجموع ما رثى به زوجته "أم المجد"، الأعلام، للزركلي، ج٥، ص: ٣١٩.

الأزواج في الشعر العربي[١].

وحَصَرتِ الباحثة الشاعرات الجاهليات اللواتي رَثَيْنَ أزواجَهنَّ مِن كُتُب المعاجم والأدب، فكان عددُهنَّ سبعَ شاعرات، وتفاوتت أشعارهن بين قصائد ومقطوعات، وكانتْ أكثرَهن رثاء لزوجها الخِرْنِقُ[٢]؛ فقد رَثَتْه بقصيدة وخمس مقطوعات، ثم تلتها جَليلةُ[٣] بقصيدة ومقطوعة، ثم حَليمة الحَضَريَّة العَبْسية[٤] بمقطوعتينِ.

ورثاء المرأة الجاهلية لزَوجها على نحو ما تبيَّن قليلٌ؛ وقد يكون لأسباب متعلِّقة بطبيعة المرأة وخجلها مِن إظهار مكانة الزوج في حياتها، كما يعود إلى ظروف معيشتها، كسرعة زواجها، وطلاقها، وإلى العادات المتعلِّقة بالقبيلة والحسِّ الجَماعي الذي يسودُ أجواء القصيدة الجاهلية بدلًا مِنَ التعبير بالإحساس الفردي.

غير أنَّ الرثاء كان قرينَ الفخر، وللفخر في الجاهلية ضوابطُ وشروطٌ؛ فلا يَكتفي الرثاء بإظهار الجوانب التي استحسنتها المرأةُ في ذلك الزوج، كما هو في العصر الحديث، أو تكتفي بعاطفة الحب والمودَّة والإخلاص التي كانت بينهما، ودليل ذلك أنه لم توجَدْ مثلُ هذه المراثي في الشِّعر الجاهلي، ويظهر ارتباط الدافع المعنوي بالدافع المادي، وفي كثير من الشواهد التي تؤيد هذا الارتباط، خاصةً فيما يتعلق بالصفات الخُلُقية، كالكرم، والشجاعة، وغيرهما[٥].

رثاء الآباء:

أمَّا رثاءُ الآباء فمن الطبيعي أن تتعلَّقَ البِنتُ بأبيها منذُ طُفولتها؛ إذ تجدُ فيه حاميَها وعائلَها وراعيَها، مع كثرة مَن وَأَدَ البناتِ في الجاهلية، والذي كان يكثُرُ ويشتد في تميم، التي زعمت خوفَ القهر عليهنَّ، وطمع غير الأكْفاء فيهن، وكذلك في قبائل كِندةَ وقَيسٍ وهُذَيل وأَسَد وبَكْر بن وائل، ومن القبائل التي عُرِف فيها الوأدُ أيضًا: خُزاعةُ، وكِنانة، ومُضَر(٦)، تأتي لنا الإحصاءات مُناقضةً لذلك الجفاء، فكان رثاءُ الشاعرات لآبائهن أكثرَ من رِثائهنَّ لأيِّ شخص يتَّصِلْنَ به، فبلغ عددُ الشاعرات اللواتي تم إحصاؤهن أربعًا وعشرين شاعرةً، مقابلَ سبعَ عشْرة شاعرة في رثاء الإخوة، وعشرٍ في رثاء الأبناء،

---

(١) ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي، عمر الأسعد، دار سبيل الرشاد، ط١، ١٩٩٥هـ، ص: ١٦٩ – ٢٥٦.

(٢) الخِرْنِقُ بنت بدر بن هفان بن مالك من بني ضبيعة، البكرية العدنانية، من الشاعرات الشهيرات في الجاهلية وهي أخت الشاعر طرفة بن العبد لأمه. وفي المؤرخين من يسميها (الخِرْنِقُ بنت هفان بن مالك) ، الأعلام للزركلي، ج٢، ص٣٠٣.

(٣) جليلة بن مرة الشيبانية: شاعرة فصيحة، من ذوات الشأن في الجاهلية، الأعلام للزركلي، ج٢، ص١٣٣.

(٤) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص: ٥٠، معجم شاعرات العرب من الجاهلية حتى العصر الحديث، ص: ٧٧، شاعرات العرب، جمع وتحقيق: عبد البديع صقر، ص: ٢٠٧، حليمة الحضرية، لم تَرِدْ لها ترجمة سوى ما ورد في المناسبة، وهي من بني عبس. شاعرات العرب، ص: ٥٠.

(٥) انظر: مراثي النساء في شعر عصرَيْ ما قبل الإسلام، وصدر الإسلام، رسالة ماجستير، ص: ٦٩.

(٦) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٤، ١٤٢٢هـ، ج٩، ص: ٩١.

وسبع شاعرات في رثاء الأزواج، بذلك يحتل الأب المكانة الثانية بعناية الشاعرات وفق الإحصائية ،هذا يؤكد أن مكانة الأبِ تظل هي الأعلى، وإن تزوَّجت ظلَّت تُحِبُّهُ وتَذكُرُهُ، وتشتاقُ إليه، ولا شَكَّ أنَّها كانت تُؤْثِرُهُ على زوجها؛ (لأنَّ روابطَ العَلاقة في الجماعات الأُولى كانتْ مُتبادَلةً بين البنت وأبيها، وبين الأخ وأخته أقوى منها بين الزوج والزوجة)(١)، والبِنتُ بحُكم جنسها الذي جُبلت عليه تميل إلى أبيها أكثرَ من مَيْلِ الولد له، وهذا يُفسِّر كثرةَ رثاء الشاعرات للآباء، مقارنةً بالشُّعراء؛ فالعطف والحُبُّ كانا متبادلَيْن بينها وبينه، فلا نستغرب بعد ذلك إذا ما فقدت البِنتُ أباها أن تُطلِقَ لِأشجانِها العِنانَ، فإذا هي بُكاءٌ حارٌّ، ولَوعةٌ مُحرقة(٢).

رغم ذلك نجد أنَّ معظمَ قَصائِدِ الرِّثاء في الأبِ لم تتجاوزْ عشرةَ أبيات، إلا عند دَختَنُوسَ بنتِ لَقيطِ بنِ زُرارةَ، فقد بلغت إحدى مقطوعاتها الثلاث أربعة عشر بيتًا، وصفيَّة ابنة عبد المُطَّلب، بلغت قصيدتُها أحد عشرَ بيتًا.

وكذلك لم تَطُلْ قصائدُ رثاء الأبناء، حيثُ إنَّها لم تتجاوزْ عشرةَ أبيات، وقصيدة أمِّ بِسطامٍ بلغتْ أحدَ عشَرَ بيتًا، وقصيدة السُّلَكةِ أمِّ السُّلَيكِ بلغت اثني عشَرَ بيتًا، إلا في قصيدة أمِّ قِرْفةَ، فقد بلغت خمسةَ عشَرَ بيتًا، وكانتْ أطولَهنَّ قصيدةُ بَرَّةَ بنتِ الحارث، حيث بلغَتْ واحدًا وأربعين بيتًا.

تميَّز رثاءُ الإخوة بطُول القصائد، حتى إنَّ رثاء جَنوبَ الهُذليَّة تميَّز بطول قصائدها الثلاث؛ فكانت تتفاوت بين أربعة وعشرين بيتًا، وأربعة عشر بيتًا، واثني عشر بيتًا، وأقلها خمسة أبيات، وكذلك الفارعةُ بنتُ شدَّاد العُذريَّة، بلغت قصيدتها عشرين بيتًا، وقصيدة سُعْدى بنت الشَّمرْدَلِ الجُهنيَّة، وبلغت ثلاثين بيتًا، وقصيدة الدَّعْجاءِ، فقد بلغت واحدًا وأربعين بيتًا، وأبرزُ مَن أطالت في رثاء الأخِ الخنساءُ، فقد كانت نموذجًا يجسِّد كيف يطول القولُ حين ترثي الشاعرةُ الجاهلية أخاها.

وإنْ كان رثاءُ الأزواج أقَلَّ أنواع الرثاء من حيث عددُ الشاعرات وطولُ الأبيات، مقارنةً بالأنواع الأخرى، فكانت أطولُ قصيدة لجليلةِ بنت مُرَّةَ، حيث بلغت تسعة عشر بيتًا، وإنْ كَثُرَتْ مقطوعات الخِرْنِقِ في رثاء زوجها فإنها لم تتجاوز ثمانية أبيات في أطول قصيدة لها.

إنَّ عدد الأبيات والشاعرات ليس سوى دليلٍ على العَلاقة بين المرأة والمحيطين بها، وحجم العاطفة وما يقوم به الشِّعر من دَور بارز في استقراء طبيعة العلاقات في ذلك العصر، وبيْن ما تحاول المرأةُ البوحَ به من ذِكريات وأحداث، وما تحاول تخليدَه وبثَّه من خلال أبياتها يُؤكِّد بُروزَها في فنِّ الرِّثاء، وأنها ليستْ أقلَّ شاعريةً من الرَّجُل.

---

(١) المرأة في الشعر الجاهلي، الدكتور أحمد الحوفي: ٣٠٥.

(٢) يُنظر: شعر المرأة في القرن الأول الهجري: أغراضه وميزاته الفنية، الدكتور شاكر محمود السعدي، دار الكتب والوثائق ببغداد، ١٤٢٣هـ، ص: ٢٦.

مِن خلال استقراءِ قصائد الرِّثاء اتَّضح أنَّ المرأةَ تجِد الابنَ والأب والأخ الظهرَ لها، والزوجَ يشكِّلُ السندَ والنصيرَ، ومن الغريب أنَّ المرأة في الجاهلية كان الأخ يُمثل المعينَ والسنَدَ لها أكثرَ من الأب! فكانت تَرثيه بحُرقةٍ لِفَقْدِها إياه، وكذلك رَثَتِ ابنها أكثرَ مِن رثائها لزوجها، هذه الحقائق تجعلنا نقف على طبيعة العَلاقة و البعد النفسي وأثر البيئة و الثقافة ، ومدَى مِصداقية العاطفة في ذلك البَوْح. فمِنَ الطبيعي أن تتميَّز التجارِب النِّسائية لدَى الشاعرات عن نظيراتها لدَى الشعراء، بحُكم الطبيعة النوعية للمرأة، وأسلوب التعامُل مع الظروف التي تعيشها، الأمر الذي ينعكس بالضرورة على إبداعها الشِّعري(١).

وعاطفة المرأة في القصائد تُظهر بأنَّ العاطفة الهادئة صاحَبَتْها العاطفةُ اليائسة المتحسِّرة على سَنَدِها في الحياة، ثم تختم المرأة بإظهار العاطفة المنكسِرة؛ جَرَّاءَ ذلك الفَقْدِ، فغالبًا ما تختم رثاءَها بتلك العاطفة(٢).

فالقصيدة الجاهلية تحمِل تعبيرًا عن الشُّعور و الحِسِّ الجماعي العام للقبيلة، وترَى الباحثة أنَّ هذا نوع من محاولة إخفاء الشاعرة إحساسها من خلال إشراك القبيلة في إحساسها عبارة عن انعكاس لأثر الأيدلوجية الثقافية ، وكأنَّ في تفردها بإحساسها عيبًا تخشاه، لكنَّ هذا لا يعني تلاشي الذاتيةِ إذا كانت القصيدة ترتبط بطبيعة الحياة القَبَليَّةِ في صورة متكاملة للإنسان بالحس الفردي والجماعي، بعكس القصيدة في العصر الحديث، التي اكتفت بالتعبير عن الحسِّ الفردي بحالة الحزن خاصَّةً، وهذه دَلالة على تغير الحياة، وغلبة الفردية على الجماعية في الإحساس العاطفي، وفي تصوير الوجدان الجماعي، وبتجسيد المرثي بنموذج الإنسان السامي.

هناك فِكْر مشترك بين القصائد، وهو الإحساس بوَحدة المصير والانتهاء، تظل مسيطرةً على القصائد، ويظل هذا الإحساسُ يُخيِّم على قصائد المراثي، يُلتمس بتَعداد الأماكن التي كان يتجول بها المرثيُّ، وتتضاعف هذه الوَحدة والغربة عند شعراء الجاهلي لِمَا اختصت به طبيعة الحياة الجاهلية مِن تَرحال وبُعدٍ عن قبر المرثيّ، مما جعل الصورةَ الجاهلية تنحصر عند حدود الموت، ولكنَّ الصورة في العصر الحديث تستمر حتى ما بعد الموت، وهذا ما جعل روح الشاعر الجاهلي مقيدةً، تتشبث بتخليد صور المرثي ومكارمه التي كانت على أرض الواقع، بعكس روح الشاعر الحديث، منطلقة الخيال، حيث يتخيل ما سيكون بعد الموت وحياة البرزخ ويوم القيامة، حيث الخلودُ الأبديُّ، فتنتقل صورة التخليد المرتبطة بالأمل للحياة الآخرة، وهذا يُفسر الذِّكْرَ العابر للصفات

(١) انظر: الشعر النسائي في أدبنا القديم، ص: ٩٣، ٩٤، ٩٥.

٢ الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، ص: ٣٣١.

الحَسَنة في المرثيّ في الشعر الحديث ، وعدم الإلحاح على المناقب وتَكرارها كما في القصيدة الجاهلية.

الخاتمة

ظلَّ شِعرُ المرأة ورِثاؤها زمنًا في دائرة الظلِّ، لكنَّه بدأ يظهر للوجود في العصر الحاضر، بل تعدَّى حدود الظهورِ، فطالبَتِ المرأةُ بأدبٍ خاصٍّ، ونَقْد خاصٍّ؛ حتى أصبحتْ هذه المطالَبات محلَّ دراسة وتفنيد مِن قِبَلِ الباحثين؛ فبعدَ أنْ كان صوتها مغمورًا، أصبح يعلو المنَصَّات، وجاء مِنَ النُّقاد والأُدباء مَن يدافع عن حقوقها اللُّغوية والأدبية، وإنْ كان هذا الموضوعُ يحتاج إلى كثيرِ عنايةٍ وتفنيدٍ من حيثُ الآثارُ المترتِّبةُ عليه، وأبعادُه، وما سيُخلِّفه من آثارٍ في الأدبِ والمجتمَع على حدٍّ سواء، هذا ما يَجعلُنا نبحث عن أسباب ذلك الغِياب، وإنْ كان ذلك هو الوضعَ في الماضي، لكن لا يُمكننا أنْ نُنكرَ وجودَ بعض الاستثناءات واللفتات.

وشِعر الرِّثاء يُثبِت لنا أنَّ للمرأةِ دورًا بارزًا في الأدب، وبلاغةً وفصاحةً ليستَا بالقليلتَيْنِ؛ ولكنها ظلَّت أسيرةً للبيئة والعادات التي كَبَّلتْ إبداعها الأدبي فغاب، وكَبَّلتِ الرَّجُلَ فحبس مشاعرَه عن البَوْحِ مِن أجْلِ الصورة النمطية في ذلك المجتمع.

النتائج:

١. كثرةُ رِثاء النِّساء في الجاهلية لإخوانهنَّ أكثرَ مِن الأب والابن والزوج.
٢. طُولُ قصائد رِثاء الإخوة والأبناء مقابلَ الآباء والأزواج.
٣. كثرةُ رِثاء الشاعرات الجاهليات للإخوة غيرِ الأشقاء، وذِكر فضائلهم ومآثرهم.
٤. خُلوُّ الشِّعر الجاهلي من رِثاء النِّساء، حتى إنَّهن شاركنَ الشعراءَ في ذلك التَّغيُّب.

التوصيات:

١. الاستزادةُ من الأبحاث العِلمية في شِعرِ النساء، وخاصةً مِن الجانب البلاغي والنقدي.
٢. جمْع شِعر الرثاء عند النساء من الجاهلية، وحتى العصر الحديث، ليَسْهُلَ على المطَّلع معرفة التغير والتطور في شعر المرأة.
٣. دراسة دقيقة لظاهرة غياب رثاء النساء لبنات جنسهنَّ في العصر الجاهلي، واستمرار قِلَّة ذلك الرثاء، وبيان أسباب ذلك مِن خلال دراسة الأنساق الاجتماعية ودور الجانب النفسي في ذلك؛ لمعرفة أسباب غياب مثل هذا النوع من شعر الرثاء عندهنَّ؛ لأنَّ الشعر ترجمة للواقع الاجتماعي والنفسي والبيئي.

المُلحقات:

جدول يُوضِّح الشاعرات اللاتي حُصِرْن في الشعر الجاهلي

١. رثاء الإخوة

١. أم عمرو بنت مكدَّم	مقطوعة	ترثي رَبيعةَ بن مُكَدَّم
٢. جَنوب الهذليَّة	٤مقطوعات	ترثي عمرَاً ذا الكَلْب الهُذَلي
٣. الخِرنقُ بنتُ بدر	مقطوعة	ترثي أخاها طَرَفة
٤. الخنساء	**٦٥ مقطوعة من أصل ٩٦ قصيدة في ديوانها**	ترثي صخرًا
٥. الدَّعجاء بنت وهب	مقطوعة	ترثي المنتشر
٦. ربطة بنت عاصية	مقطوعة	ترثي عمرًا
٧. ربطة بنت العباس السلمي	مقطوعة	
٨. سُعَدى بنت الشَّمَرْدَل الجُهنَيَّة	مقطوعة	ترثي أسعد بن مجدول الهُذلي
٩. صَفيَّة الباهلية	مقطوعة	
١٠. العوارِ بنت سُبَيْع الذُّبْيانية	مقطوعة	ترثي أخاها عبدالله
١١.الفارعةُ بنت شدَّاد العذريَّة قيل: إنها هي ليلى الأخيلية في كتاب الأعلام	مقطوعة	ترثي أبا زُرارة مسعود بن شداد
١٢. قُتَيْلة بنت النَّضْر بن الحارث	مقطوعة	ترثي النضر
١٣. ليلى بنت سَلَمة	مقطوعتان	
١٤. مَيَّة بنت ضِرار الضَّبّيَة	ثلاث مقطوعات	ترثي قَبيصة
١٥. ناجية بنت ضمضم المَرّي	مقطوعتان	ترثي هَرم بنَ ضَمْضم
١٦. هند بنت أسد الضّبابيّة	مقطوعة	ترثي البيضاء
١٧. هند بنت حذيفة بن بدر الفزارية	مقطوعة	ترثي أخاها حصنَ بنَ حذيفة

٢. رثاء الأبناء

١. أعرابية من بني عبدِ وُدِّ	مقطوعة	٣ أبيات
٢. أم الصَّريح الكِنْديَّة	مقطوعة	٦ أبيات
٣. أم قِرْفة	مقطوعة	١٥ بيتًا
٤. أم قيس الضبَّيَّةُ	مقطوعتان	٤ أبيات بيتان
٥. أم بسطام بن قيس الشَّيْباني ترثي بسطامًا	مقطوعة	١١ بيتًا
٦. امرأة من بني عامر بن صعصعة فقدت أولادها التسعة	مقطوعة	بيتان
٧. بَرَّة بنت الحارث	مقطوعة	٤١ بيتًا
٨. تُماضِر بنت الشَّريد السُّلمية (الخنساء)	مقطوعة	١٠ أبيات
٩. سُعدةُ بنت فريد بن خيثمة	مقطوعة	أبيات
١٠. السُّلَكة أم السُّلَيْك	مقطوعة	١٢ بيتًا

٣. رثاء الآباء

١. ابنة حذاق الحنفي	مقطوعة	٨ أبيات
٢. ابنة حُكَيْم بن عمرو (العبديَّة)	مقطوعة	٤ أبيات
٣. أروى بنت الحُبَاب	مقطوعة	٣ أبيات
٤. أروى بنت عبدالمطلب بن هاشم القرشية	مقطوعتان	٥ أبيات ١٠ أبيات
٥. أم حَكيم بنتُ عبد المطلب ملاحظة: رثت ابنها قبل وفاته وبعده	مقطوعتان	٩ أبيات ٦ أبيات
٦. آمنة بنت عُتبة اليربوعية	مقطوعة	٤ ابيات
٧. أمَيمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف	مقطوعة	٧ أبيات
٨. أروى بنت عبد المطلب	مقطوعة	١٠ أبيات

٩. بَرَّة بنت عبد المطلب	مقطوعة	٦ أبيات
١٠. بنت الحُكيم بن عمرو العَبديَّة	مقطوعة	٤ أبيات
١١. بنت بجير بن عبد الله القشيري	مقطوعة	٣أبيات
١٢. خالدةُ بنت هاشم بن عبد مناف	مقطوعتان	٨ أبيات ٥ أبيات
١٣. الخنساء بنت زُهَير بن أبي سُلمى	مقطوعة	ثلاث أبيات
١٤. دَختَنُوسُ بنت لقيط بن زرارة	ثلاث مقطوعات	١٤ بيتًا ٩ أبيات ثلاثة أبيات
١٥. رَبطَةَ بنتُ العبَّاس الأصَمّ السُّلَميّ	مقطوعة	٩ أبيات
١٦. زينب بنت فروة بن مسعود الشيباني	مقطوعة	بيتان
١٧. سلمى بنت المهَلْهِل	مقطوعتان	٩ أبيات ١٠ أبيات
١٨. سلمى بنت مالك بن بدر الذبْيانى	مقطوعة	٤ أبيات
١٩. صفيّة بنت عبد المطلب	مقطوعة	١١ بيتًا
٢٠. عاتكة بت عبد المطلب	مقطوعة	٨ أبيات
٢١. عمرة بنت دريد بن الصّمة	مقطوعتان	٨ أبيات ٣ أبيات
٢٢. قُتَيْلة بنت النضر بن الحارث	مقطوعة	١٠ أبيات
٢٣. ناجية بنت ضمضم	مقطوعة	٩ أبيات
٢٤. هند بنت عُتبة	٥ مقطوعات	٧ أبيات ٦ ابيات ٥ أبيات ٣ ابيات أبيات

٤. رثاء الأزواج

١. جليلة بنت مرّة	مقطوعتان	١٩ بيتًا ٤ أبيات	رثاء كليب
٢. سميَّة خالة عنترة	مقطوعة	٦ أبيات	شداد العبسى
٣. حليمة الحضرّية العبسية	مقطوعتان	٣ أبيات بيتان	
٤. الخِرنِقُ بنت بدر	٦ مقطوعات	٨ أبيات بيتان ثلاثة أبيات ثلاثة أبيات ثلاثة أبيات بيتان	بشر
٥. الجيداء بنت زاهر الزبيدية	مقطوعة	٧ أبيات	خالد بن محارب الزبيدى
٦. الهيفاء بنت صبيح القضاعية	مقطوعة	٦ أبيات	نوفل بن سمير بن عمرو التغلبى
٧. زهراء الكلابية	مقطوعة	ثلاثة أبيات	
٨. زينب الشكرية	ترثي زوجها وأباها بـ ٥ أبيات في مقطوعة		
٩. عمرة الخثعمية	ترثي ابنيها وأخاها، بـ ١١ بيتًا، في مقطوعة		

المصـــادر والمراجـــع

١. القرآن الكريم

٢. الأصمعيات، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وعبدالسلام هارون، بيروت، ط٥

٣. الأعلام، خير الدين بن محمود بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين،

ط١٥، ٢٠٠٢م.
٤. تاريخ الأدب الأندلسي(عصر الطوائف والمرابطين)، إحسان عباس، بيروت: دار الثقافة، ط٥، ١٩٧٨م
٥. جمهرة أشعار العرب، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي، تحقيق وضبط، علي محمد البجادي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٦. الحماسة البصرية، أبو الحسن البصري، تحقيق: مختار الدين أحمد، بيروت: عالم الكتب، د. ت، د. ط
٧. ديوان الباكيتين، شرح يوسف عيد، بيروت، دار الجيل
٨. ديوان الصنوبري، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ط١، ١٩٩٨م
٩. ديوان الهذليين، تحقيق: أحمد الزين، محمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، ١٩٦٥
١٠. ديوان جرير، جرير بن عطية الخطفي، دار البيروت، ١٤٠٦هـ
١١. ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٦م
١٢. ديوان رثاء الأزواج في الشعر العربي، عمر الأسعد، دار سبيل الرشاد، ط١، ١٩٩٥هـ.
١٣. الرثاء، شوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف، ط٤، ١٩٥٥م
١٤. رثاء الزوجات في العصر الأموي والعباسي، عبد الرحمن بن إسماعيل، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، ١٤١٨هـ.
١٥. شاعرات العرب، جمع وتحقيق: عبد البديع صقر، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٨٧هـ
١٦. شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه بشير يموت، بيروت: المكتبة الأهلية، ط١و ١٣٥٣هـ
١٧. شرح ديوان الحماسة، يحيى بن علي التبريزي، بيروت: دار القلم، د. ت
١٨. الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه، الدكتور يحيى الجبوري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٩، ٢٠٠١م.
١٩. شعر المرأة في القرن الأول الهجري: أغراضه وميزاته الفنية، الدكتور شاكر محمود السعدي، دار الكتب والوثائق ببغداد، ١٤٢٣هـ
٢٠. الشعر النسائي في أدبنا القديم، مي يوسف خليف، مكتبة غريب، ١٩٩١م
٢١. الصورة في شعر الرثاء الجاهلي، صلوح مصلح السريحي، رسالة دكتوراة، إشراف: د. أحمد سيد محمد، كلية التربية بجدة، ١٤١٩هـ.

٢٢. العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، ١٤٠١هـ
٢٣. المرأة في الشعر الجاهلي، الدكتور أحمد الحوفي، مطبعة نهضة مصر، ١٩٥٤م
٢٤. مراثي النساء في شعر عصري ماقبل الإسلام وصدر الإسلام، قاسم محمد عبد، رسالة ماجستير، إشراف: إيمان كمال المهداوي، في الجامعة الإسلامية – كلية الآداب – قسم اللغة العربية ٢٠٠٩
٢٥. معجم شاعرات العرب من الجاهلية حتى العصر الحديث، جميل منصور، دمشق: دار البشائر، ط١، ١٤٣١هـ
٢٦. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، ط٤، ١٤٢٢هـ
٢٧. المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، القاهرة: دار المعارف، ط٦
٢٨. من عيون الشعر "المراثي "، محمد إبراهيم نصر، الرياض: دار الرشيد، د. ت
٢٩. الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ.